الفكر التكفيري ومناهجه المتطرفة

(دراسة لترسيخ وتكريس فكر الاعتدال والتسامح والتعايش)

د. فلاح عبد الحسن هاشم

جامعة البصرة

كلية التربية / قسم علوم القرآن

مقدمة

يهدف البحث إلى تكريس روح الاعتدال والتسامح ونبذ التطرف والإرهاب، من خلال الكشف عن مبادئ كل منهما، سعياً لتشخيص ذلك، ومحاولة بناء وتعزيز روح التعايش بين المذاهب في المجتمع الإسلامي تحت مظلة الإسلام بمبادئه العظيمة السامية.

مشكلة البحث

ثمة مرتكزات –قد لا يلتفت لها– ساهمت في انتشار الفكر المتطرف والإرهاب بنحو كبير، وخلقت نزاعات طائفية مقيتة راح ضحيتها كثيرٌ من الأبرياء، هذه المرتكزات والأسس شكّلت منهجاً قوامه تكفير المسلمين الذين لا يتفقون مع ذلك الفكر، وتكفير غيرهم بطريق أولى، فما هي هذه الأسس والمنطلقات التي كونت هذا المنهج؟ وهل أن إبراز هذه الأسس وإظهارها يساهم في إيجاد حلول أو مقاربة لحلول ما؛ لما تمر به الأمة الإسلامية من عاصفة التكفير والإرهاب؟ وفي ذات الوقت ما هي أسس ومبادئ التسامح والعدل والمحبة والرحمة؟ وهل يساهم ذلك في بناء جسر من التواصل بن الذات والآخر وردم الهوة ونبذ كل ما من شأنه أن يؤسس للقطيعة؟

وقد تكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ثم أربعة مباحث: الأول تضمن لمحة مختصرة عن مناهج التيار التكفيري، والثاني: تضمن بيان المنطلقات الفكرية للتنظيمات الجهادية التكفيرية، ثم الثالث: وكان في الاعتدال والتسامح والتعايش، وإثبات أن التسامحُ الدينيّ طريقٌ للتعايش، وما يمكن أن يجمع بين المذاهب من مشتركات، وينبذ العنف والإرهاب. ثم خاتمة لأهم نتائج البحث.

الكلمات الدلالية

المنهج التكفيري، التطرف التسامح، الاعتدال.

تمهيد

لا شك في أن ظاهرة التكفير وما يرافقها من العنف والقتل والإرهاب تعدُّ اليوم من أخطر الظواهر التي أضحتْ لصيقةً بالدين الإسلامي والمسلمين، وقد أحدثتْ شرخاً كبيراً في هذا الدين ومبادئِه وقيمهِ، وجلبت الكثير من المآسي والآلام للأمة الإسلامية.

لقد ساهم التيار التكفيري بتكوين صورةٍ بالغةِ السوءِ عن الإسلام، وغيَّبَ صورتَه الحقيقيةَ الناصعةَ حتى أصبح الإسلامُ مُستَهدَفاً بروحهِ ومبادئهِ السمحةِ؛ وصار نبيُّ هذا الدين نبياً للإرهاب والعنف بعد أن كان نبيَّ الرحمة والرأفة والرحمة. ولم يَعدْ مثلُ قوله تعالى: (وما أرسلناك الإ رحمة للعالمين) وقوله (وبالمؤمنين رؤوف رحيم) إلا أقوالٌ لا تطبيق لها على أرض الواقع.

ولسنا نبالغُ إن قلنا إن الفكر التكفيري يعتبرُ اليوم من أعظم الابتلاءات والفتن التي يواجهها المسلمون في حاضرهم؛ ومن هنا تبرز الحاجةَ للاعتدال والتسامح وللتعايش وتَتَعمّقُ اليومَ وتتأكّدُ أكثرَ من أيّ وقتٍ مضى؛ فالمجتمعُ الإسلامي اليومَ بِرُمَّتِهِ أصبح في وضعٍ لا يُحسدُ عليه، فهو يواجه تحدياتٍ كبيرةً وخطيرةً، خصوصاً على الصعيد الداخلي، وهذه التحديات إذا لم يُوضعْ لها الحلولُ المناسبةُ وبشكلٍ فاعلٍ من أجلِ التغلب عليها، فإنها سوف تُفضى إلى نتائجَ مستقبليةٍ وخيمةٍ لا يمكنُ التكهّنُ بحجم ضررها.

إنَّ المصلحةَ اليومَ تنحصِرُ في نَبذِ الفكر التكفيري، وسلوكِ طريقِ التسامحِ والتعايشِ، هذه المصلحةُ التي تقتضيها الحكمةُ والدفعُ بالأحسن؛ وفقاً للمبدأِ القرآنيّ المعروفِ؛ ومن هنا فقد تشكَّلتْ قناعاتٌ راسخةٌ عند كثيرٍ بضرورةِ سلوكِ هذا السبيلِ.

بيد أن نبذ التكفير لا يمكن أن يكون من دون دارسة ظاهرة التكفير، ومعرفة أصول هذه الظاهرة، ومناشئها، ومن ثم معالجة هذه الأصول والركائز بما لا يدع مجالاً لبقاء هذه المرتكزات.

المبحث الأول: لمحة مختصرة عن مناهج التيار التكفيري

ليس من أدنى شك في إنّ التنظيمات المتطرفة في العصر الراهن كالقاعدة وطالبان وداعش والنصرة وغيرها؛ ترتكز في أهم أصولها الفكرية على قطبين مهمين، في العالم الإسلامي المعاصر، الأول: يتمثل في فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب(ت١٧٩١)؛ والثاني يتمثل في فكر السيد قطب (ت ١٩٦٦).